

المقاومة توقع إسرائيل في فخ الحرب النفسية

د. أكرم حجازي

5/1/2009



حتى هذه اللحظات ليس على قادة المقاومة والمجاهدين في غزة إلا أن يقهقهوا بأعلى أصواتهم بعد أن حققوا انتصارا ساحقا في حربهم النفسية ضد إسرائيل بصورة غير مسبوقة في تاريخ الصراع العربي مع إسرائيل. ومن يراقب تصريحات القادة اليهود وملامح وجوههم يجد تعبيرات الخزي والذل تصفع وجوههم من كل جانب. أما ملامح هذه الحرب فيمكن الإشارة إليها في النقاط التالية:

أولا: فقد واجه المدافعون عن غزة إسرائيل بوحدة التنسيق الميداني الذي شمل كافة الجماعات والفصائل بما فيها حركة فتح. وحتى الجانب الإعلامي تميز بوحدة

الخطاب العسكري بصورة لا تتناقض أبدا فيما بين القوى المدافعة، الأمر الذي أوقع إسرائيل في حيرة من أمرها تجاه عملياتها البرية التي بدأتها ليلة الأحد خاصة وأن الاستعدادات العسكرية لدى القوى المدافعة متماثلة في الخطط والتنسيق بحيث يصعب تحقيق اختراق ميداني دون تكبد خسائر فادحة. فما أن بدأت العملية البرية حتى ووجهت القوات المهاجمة بمعارك ضارية، وكان تفجير بضعة عبوات في القوات المهاجمة كافيا لاعتراق إسرائيل بوقوع عشرات القتلى والجرحى في صفوف قواتها من بينهم ضابط كبير يقال بأنه قائد لواء غولاني.

ثانيا: ليلة الهجوم البري، وبعد مراوغة لكسب الوقت، انعقد مجلس الأمن الدولي لإصدار بيان رئاسي يدعو لوقف إطلاق النار، وبدأت إسرائيل مهتمة بالجانب السياسي لدرجة أن وزيرة الخارجية تسيبي ليفني تحدثت عن نجاحها في إفشال المشروع العربي. لكن المفاجأة كانت لدى المقاومة التي عبرت عن غضبها من نقل القضية إلى مجلس الأمن. فالقيادات السياسية المطالبة بوقف العدوان لم تضع مجلس الأمن بالذات في حساباتها، إذ أن القرار الحقيقي الذي أجمعت عليه القوى الفلسطينية، لأول مرة في تاريخ المقاومة، قضى بعدم تفويت الفرصة في جر إسرائيل إلى معركة برية بأية وسيلة كانت حتى ولو باستفزازها وهو ما ألمح إليه المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي حين حذر حماس من استفزاز إسرائيل. والثابت أننا رصدنا تصريحات متكررة من هذا النوع لدى قادة المقاومة منذ بدء الحرب على غزة لدرجة تبعث على الدهشة، وترافقت هذه التصريحات مع أخرى تتحدث عن مفاجئات عسكرية. والآبات واضحة أن إجمالي التصريحات لم تكن ترغب البتة في أي تدخل دولي بقدر ما بدت وكأنها تلح على إسرائيل في التعجيل بالاجتياح البري لغزة. فهل نجحت إسرائيل؟ أم أنها ابتلعت الطعم بصورة غير مسبقة.

ثالثاً: بدأ هجوم القوات الإسرائيلية على غزة عبر ثلاثة محاور ما لبث أن توسع إلى خمسة فضلاً عن جبهة الساحل البحري. لكنها تكبدت أولى خسائرها في نصف الساعة الأولى من الهجوم، وفي خط الدفاع الأول عن قطاع غزة. وإذا رغبت إسرائيل في مواصلة هجومها فعليها اجتياز 3 - 5 خطوط دفاعية على الأقل كي تقع في النهاية في حرب مدن ذات كثافة سكانية عالية جداً خاصة في منطقة خان يونس جنوباً. ولأن جميع هذه الخطوط تمثل أفخاخ وأشراك خداعية مرعبة فعليها أن تتوقع كوارث في حجم الإصابات. وإزاء هذا الحال تبدو القوى المدافعة أكثر رغبة في المواجهة من القوات المهاجمة فضلاً عن الأولى تفكر في النصر فيما تفكر الثانية باحتمالات فشل عالية.

رابعاً: وقوع إسرائيل بين مطرقة المدافعين عن غزة وسندان الحرب النفسية جعلها تتلصقاً في التقدم وتحدث عن طول أمد المعارك البرية، ولعل البطء الشديد في تقدم قواتها يمثل أحد أقوى النتائج الأولية على الورطة التي وقعت فيها. وثمة مؤشرات كثيرة تدعم هذا التوجه. فقد أعلنت عن فقدانها الاتصال مع بعض جنودها، وتكتمت بشدة على سير العمليات ونتائجها، وامتنعت عن إعلان خسائرها إلا بما تفرضه فضائح اختراق المقاومة لأجهزة اتصالاتها، وكذلك تصريحات لبعض قادتها عن مواجهة قواتهم لمقاتلين يختلفون عن أولئك الذين واجهتهم خلال حرب تموز سنة 2006 مع حزب الله اللبناني.

لا ريب أن مشكلة إسرائيل في هذه الحرب عويصة من الناحية النفسية. فالمدافعون ليس لديهم ما يخسروه ناهيك عن أن خسائرتهم أقل من خسائر المهاجمين الذين من الممكن أن يخسروا كل شيء. مع ذلك فالمعركة في بداياتها ويجب توقع الأسوأ. وللمرة الثانية حذار من الخدع العسكرية وحذار من الغدر.

كتبها د. أكرم حجازي في 05:38 صباحاً ::